المدخل حول المسرح المغاربي

طلبة السنة الثالثة أدب

أ/ بوذيب

**مدخل الي المسرح المغاربي** :

ان البحث في اصول وتشكيل المسرح المغاربي ،يتطلب منا معرفة السياق التاريخي والاجتماعي الذي بلور هذا المسرح وقضاياه المختلفة ، والمتامل في هذا المسرح عموما ،من حيث تواجده الفني والجمالي ،يستنتج ان ارهاصاته الاولي تشكلت ضمن سياق الاسلئة الاجتماعية والسياسية ،اي ان هذا المسرح المسمى مغاربيا ،جاء نتيجة ظروف تاريخية خاصة ،بمعنى آخر ان ولادة هذا المسرح ،بررته ظروف وجماليات شفوية ،من جهة ،وضرورات سياسية وقومية كرد فعل لنزعة الاستعمارية والتي كان لها الاثر البالغ والمحفز في بروز هذا المسرح وعناصره المرافقة له ،من جهة اخرى .ان السمة المشتركة بين جماليات المسرح المغاربي ( تونس ،الجزائر ،والمغرب ) خاصة وباقي الدول الاخرى .انها تشترك في المخزون الثقافي الشفوي واشكاله الشعبية المتنوعة. فالمسرح المغاربي بقدر ما واجه قدره السياسي والثقافي ومحاولة تقديم اجابات حضارية ،والتي فرضها المسرح بصفته فنا له قواعده الارسطية والبراشتية ..الخ .

وبمعنى آخر فرض على المسرح مهمات مزدوجة ،على الصعيد الفني ( البحث وتعلم القواعد الفنية التي تقتضيها الممارسة المسرحية ) والتي من الناحية الفنية غائبا تماما في تشيكل الارهاصات الاولى لهذا المسرح .

**الارهاصات الاولى المسرح المغاربي :**

**المسرح الجزائري:**

لا يختلف المسرح الجزائري في الخصائص الكبرى عن باقي المسارح المغاربية من ناحية ظروف النشاة الاجتماعية والسياسية والثقافية والشفوية .فقد نشا المسرح الجزائري ،في ظل حالة استعمارية بامتياز ،وهذه الحالة فرضت عليه قيود وعراقيل ،فالعقلية الاستعمارية عملت على توظيف الآلة الثقافية التي تمتلكها لكي تغرس مسرحها المستمد من ثقافتها البرجوزاية وامتدادها التاريخي للثقافة المسرحية والتي تخدم وجودها الاستمعاري والاستيطاني ، بتالي فإن ارهاصات المسرح الجزائري حوصرت فى زواية محددة ( الهامش المسموح ) ،فكانت الأشكال الاولى لهذا المسرح تنحصر فقط ( في اسكاتشات اجتماعية ) تقال وتمثل بشكل عفوي في المقهى ،الفضاء الوحيد والمتنفس الاجتماعي ،في تعبير عن الحالات الاجتماعية والنفسبة والجزائرية ،وفي هذا الصدد نجد ( سكاتشات رشيد القسنطيني ) من النماذج الشفويات الاولى والتي تقترب نوع ما من عالم الدراما الاجتماعية ،بحيث تعرفنا نصوصه عن الطابع العلاقات الاجتماعية والثقافية التي كان عليها الشعب الجزائري وحدود ثقافته الشفوية والخرافية والشعبية .

والارهاصات الاولى المسرح لا تتوقف عند ( رشيد القسنطيني ) فهناك تجارب اجتماعية تقترب الي جماليات المسرح ،خاصة المسرح الذي يقترب من عالم المقاومة السياسية .وفي العموم ،عرفت الثقافة الجزائرية المسرحية اشكالا احتفالية ،تتعلق بكل ماله بفن المسرح ( كالتويزة ،والحلقة ،والمداح ) فكل هاته الأشكال الاجتماعية والمتجذرة في بنية الثقافة الشفوية الجزائرية ،يمكن الاعتماد عليها واخراج عناصر فنية مسرحية ،بحيث تعطي المسرح الجزائري هويته الجمالية .

وفي العموم اذا اردنا ان نحدد ،لو نسبيا الارهاصات الاولى ،فكانت البداية التاريخية في حدودها الدنيا ،اي بفعل الارهاصات الاولى ،مع زيارة " فرقة جورج ابيض "الي الجزائر سنة 1861م،وقد عرض مسرحيتين ( صلاح الدين الايوبي ،وثورات العرب ،) ،الا ان هذه الزيارة المسرحية لم تلق النجاح المطلوب لا عتبارات ثقافية ،منها جهل المجتمع الجزائري لتقاليد فن المسرح الحديث ،بالاضافة على ذلك ،صعوبة الاداء التعبير ي للمسرحيات المقدمة باعتمادها عنصر اللغة العربية الفصحى .

وعلى رغم من ذلك ،فهذه الزيارة فتحت افاقا جديدة لهواة المسرح ،على ضوئها تم تشكيل ( جمعية الاداب والتمثيل ) ممثلة برئيسها الطاهر على شريف .حيث عرضت هذه الفرقة اول عمل لها بعنوان ( الشفاء بعد العناء 1921،ومسرحية ( خديمة الغرام ) 1922. والملاحظ فنيا وماديا ،ان هذه التجربة باءت بالفشل ،لا سباب عدة ،منها : الاشكاليات التلقي المسرحي عند الجمهور ومعطيات اخرى ،سنفصل فيها في محاضرة المسرح الجزائري قبل الاستقلال وبعد الاستقلال .

**2 المسرح المغربي :**

يرتبط ظهور المسرح المغربي بالثقافة الشفوية المغربية واشكالها المختلفة منها التراث الفلكوري والذي بشكل زخما قويا في نشاة هذا المسرح ،لما يحتويه من مضامين مسرحية شعبية ،فهذه المضامين تعكس طبيعة وسسيولوجية المكون الاجتماعي التعددي والسكاني عند المغاربة ( عرب ،بربر ،اندلسيين .. الخ ) .وقد تكون المسرح المغربي من رافدين مهمين اساسين

الرافد : الثراثى الفلكوري والشقوي ،حيث استمد الشكل المسرحي المغربي من الروافد والاشكال المسرحية المهيكلة في بنية ثقافة المغاربة وكيفية تعاطيهم في شؤونهم الحياتية والوجودية ،فكان لثقافة الشعبية الهاما للكتاب المسرح المغربي ان ينهلوا من هاته الثقافة الشعبية لما تقترحه من ارهاصات ومضامين مسرحية ,فهناك اشكال متوراثة مازالت تعاش عند المغاربة بحيث يعبرون من خلالها عن وجهة نظرهم الحياة ،ومن بين هذه الأشكال وهي متنوعة في الثقافة المغربية ( الحلقة ،البساط ،وسيدي الكتفي ،سلطان الطلبة ) .

وقد عرف عن المغاربة ممارسة ثقافة اقرب الي التمثيل الشعبي في الساحات العامة والاسواق العامة .وفي هذا الشان اشتهرت عند المغاربة اسواق مختلفة تعاش فيها انواع مختلفة من التمثيل الهزلي والدراما والغناء والشعر والرقص ،اي ان الثقافة. المغربية من زواية مسرحية اقرب الي خلق أفعال مسرحية ودرامية .

وقد تجلى هذا عندما يرتاد المغاربة الاسواق الشعبية الكبرى مثل : ( سوق باب عجيسة بفاس ،وباب منصور العليج بمراكش ،ساحة الفنا بمراكش ).

والرافد الثاني والذي كان له الأهمية الكبرى في تشكيل الجمالية المسرحية المسرح المغربي ،تبلور الهوية الوطنية المغربية وخصوصيتها السياسية اتجاه المغاربة أنفسهم واتجاه الاخر او صورة الاخر المغاير ( الغربي ) الوافد على الثقافة المغربية .

3 **المسرح في تونس :**

نشا المسرح التونسي ،انطلاقا من فكرة النصوص والعروض التي كتبها كثيرا من المؤلفين التوانسة ،فالمسرح في تونس لا يخلتف في الجوهر عن اسباب النشاة في باقي الاقطار المغاربية .

والبدايات الاولى لظهور مسرح تونسي كان عبارة عن اجتهادات خاصة من طرف كتاب احبو هذا الفن ،وعلى رغم من افتقارهم لاصول كتابة النص والتمثيل المسرحي ،الا ان هذا النقص لم يمنع لظهور نصوص اولى تعتبر الارهاصات الأولية في نشاة هذا المسرح ،ومن بين الكتاب الذين كان لهم الاسبقية في المساهمة المسرحية.نجد اول نص تم تمثيله حسب مؤرخي المسرحي التونسي ،( سلطان بين جدران يلدز ) من تاليف ' محمد الجعايبي..1878..1938.)

ونجد.كذلك نصوص اخرى مؤسسة للمسرح التونسي منها ،مسرحية ( عبد المؤمن بن على ) للهادي العبيدي ) ونشير هنا ان هاته النصوص المسرحية وحسب النقاد لها انها كانت تفتقر للبناء المسرحي الكلاسكي واصوله الفنية

ولكن في ظل فضاء تونسي. ثقافي مازال يعيش تحت الثقافة الكلاسكية التقليديةيمكن اعتبار هاته النصوص في كل الاحوال ومهما نقصها ،الا انها كانت فاعلا محفزا لبروز نصوص مسرحية اخرى

وانتعش المسرح التونسي بنصوص اخرى ،وعلى رغم كما ذكرنا سابقا ان كتاب تلك المرحلة ،تنقصهم كفاءة الكتابة المسرحية ،ولم يتلقوا تكوينا مسرحيا متخصصا .فهؤلاء الكتاب كان تجريب الكتابة المسرحية واكتشافها والتعلم منها.

ومن بين هؤلاء الكتاب الذين ساهموا في الكتابة المسرحية ،تعددت اسماءهم وخلفياتهم الثقافية الشعرية والقصصية .

فذكرهم له اهمية تاريخية ونقدية بالنسبة المسرح التونسي ومن هؤلاء. .

نورالدين بن محمود ( المتمردة ) .

محمد الحبيب

أحمد خير الدين

زين العابدين السنوسي

خليفة سطمبولي

ان الاشارة الي هؤلاء لا يعني ان هناك اخرين لما يساهموا في بلورة ونشاة المسرح التونسي والمسرح التونسي عموما كانت انشغالاته لا تختلف عن باقي المسارح المغاربية. الأخرى في طرح القضايا السياسية و الاجتماعية والثقافية والتعبير عنها في اشكال شعبية وبلغة شفوية تراعي الذوق وحدود تلقي الجمهور التونسي وعييه السياسي والثقافي عموما.